الفصل الثاني
محمود اللوزي

لوحات

لوحة إهداء

إلى خصلاتك المجدولات عتمة تناثرت النجوم عليها
إلى صوتك الممتلئ لهفة وحنيناً كصوت حبات المطر
المرتطمة بزجاج غرفةٍ تُطل على الضباب
إليك يا صاحبة الوجه الممتلئ ملائكية
إلى ذلك الغلاف الذي سأبوح له بكل شيء
غلاف كتاب في زاوية مكتبتي
قد قلتِ يوماً أنك ستقرئينه
وها أنا أخطّه الآن...

****

لوحة حنين

غريبٌ هو الإحساس الملازم لوصول هدايا أبي وأمي المغلّفةِ
بأكياسٍ لا تختلف شكلاً إنما موضوعاً عن أكياسنا
هنا أحمل هذه الأكياس بلهفة وحنو
كأني أُمسك طفلة أضلّت طريقها
وسأوصلها لغايتها الأخيرة عندي
على السرير المزدوج الذي سأفرغ عليه كل محتويات
الأكياس
لتفوح ريح الحنين مرة واحدة ولا تقتلني بفوحانها
التدريجي هديةً تتلوها أخرى
لستُ أدري من أين تأتي قداسة هذه الأكياس؟
هل لأنّ أمي حضّرتها؟
أم لأنّها من وطني؟
لكن ما الفرق بين الوطن وأمي؟
لا أعرفهُ...
لكنهما توليفتان قاسيتان حنونتان بعيدتان بآن
قبل مَسِّ أي شيء أُلقي نظرةً متفحصةً على الأشياء كل على
حِدة

كأني غوّاص يتأمل تفاصيل مخفية
من أي شارع اشترت هذا الشيء أمي؟
وهل هي من حملته أم أختي؟
وأبي الذي أنفق
يا لهذه التوليفة أيضاً!
أن تعبر الهدية من قلب أبي لجيبه لِيَد البائع ثم قلب أمي
مختومةً بيد أختي أو العكس
ناهيك عن التفكّر بكل طريقٍ سلكوه عندما ذهبوا
لجلب هذه الأشياء
هل مرّوا بجانب مدرستي القديمة!
أم من شارعي المفضل في بيت لحم
لماذا لم يتسوقوا من الخليل قلعة التجارة هناك
وبعضاً من القدس فبعضها الآخر مخبأ عندي
في الفؤاد لا يبرح!؟
هل التقوا بأستاذي المحبوب؟
أم صافحوا معلمتي وقالوا لها هذه الأكياس لي
لا لست أجزمُ بأي أمرٍ من أعلاه
قلبي مطمئن لأن هذه الأكياس عبرتْ من أريحا جبرَاً

لأن لا معبر سواها فأخَذتْ من نسماتها الصيفية قليلاً ينعشني
لكن الحسرة على رام الله لم يعبرن منها
بكل الأحوال ربما بعض هذه الأشياء مصنوع في رام الله
أما مرارة منعها من الدخول للداخل المتربع عروساً بأبهى زينتها على شاطئ المتوسط سأبتلعها
وأتحسس ريح يافا وحيفا تحسس يعقوب ليوسف
غزة لن أذكرها بشيء
فغزة توقظنا بأمواجها كل يوم فجراً بلا ملل لتقول:
أنا هنا فلا تقلقوا سنعود..

****

لوحة حب

أحببتُ ذات يوم فتاة صماء
لا تجيدُ القراءة ولا الكتابة
لكنّها كانت تُومئ لي بوجهها الطفوليّ أنْ واصل الكتابة
لم تكن تكترثُ ولا تُدركُ حتى أي استعارة مكنية
أو تشبيه جمالي ولا حتى أي اقتباس غربيّ
كانتْ تُراقبني بعينيها وأنا أرسمُ بالكلمات، ما إنْ أُشارف
على إنهاء النص لتسحبَ منّي الورقة تماماً كالمراقب في
قاعة الاختبار
طريقتها في القراءة عجيبة! تتحسس الورقة مُمَرِرَةً
أناملها على الأسطر حرفاً حرفاً، وأثناء تَحسسها تقرأ
بعينيها ملامح وجهي، فكانت تستشعر معنى كل جملة
ببلاغة من ملامحي، تُقلّب طَرْفها مُراقبةً الورقة تارة
وعيناي تارة أخرى
وكأنها تتخذ منهما مترجماً لما كتبت
أحببتُ فتاة صمّاء، لكن وأيمُ الله ليس بقلبها صَمَمُ..

****

لوحة صلاة

صلاتي فيك كل يوم، أُصلي بالمنفى لكنّ قلبي هناكَ

****

لوحة

ونصبُ خِيامِ عينيك لا يكون إلا بكسري، أرأيت
مؤنثا سالماً نُصب بلا كسرِ!

****

لوحة بُعد

يَقتلني الحنين
بغَيمةٍ كشفتِ المستور
كأنها كانت تمسح الأفق بالمطر
ليتجلى بنقاوةٍ لا تشوبها شائبة
هناك أهلي
هناك جبل ترعرعتُ فيه
هناك مساكن أمي والحبيبة الأولى
هناك كنتُ التلميذ الأول
بالتقدير الأول
بالامتياز الأول
الثناء الأول وقع عليّ هناك
والتوبيخ أيضاً
الهروب من حصة الرياضيات
لخوض اشتباك حجري مع الجنود
لا شيء كأم البدايات
أولُ العشق
امتزاج الحرب بالحب!

لا حب يرتبط بالأنثى هناك فقط
فهناك ستحب كل شيء
القبة
الجدار
المخيم
المدرسة
المظاهرة
العمة
الخالة
المسجد
الحرم
المدينة والقرية
الجامعة والمدرسة والمجمع والجمعية
ما معنى أن نلعب في العيد بالبنادق!
ونفرح إن استشهد أحد فينا باللعب!
ونرفعهُ على الأكتاف لعباً امتزج بجدية طفولية!
هناك يا سادة كل الحكايات
حرفي لكِ
لغتي لكِ

حنيني الحارق ألماً إثماً شوقاً تذمراً تحمساً عملاً إحباطاً
كل هذا لك، فمن أنتِ يا سيدة السادات؟!
من أنت حتى أن أطفالاً يُولدون بعيداً عنك
لا يعرفونك
لم يمسوا منك شيئا لكنهم يشتاقون لك!
ألا ترين سعادتي الطفولية كل صباح عندما أرى جزءاً من جبالك
كفرحتي بلباسي يوم العيد وأنا في الابتدائية؟
لكنّ اليوم مختلفٌ، لقد جادت الغيمة بالأفق بأكثر من المعتاد
لقد انكشف جَلياً بعد ليلة ماطرة
ليتَ الليالي كلها ماطرةٌ
أنا بخير لا تقلقي
عندي خارطة لك حاكتها أمي بالحرير سنعلّقها يوم التحرير
أتلمّسها كل صباح شوقا لكِ ولها
أتفقد مدنك، قُراك
ومواضع لمس أنامل أمي
وأقول: أحبك...